محمد الناصر

ياعم ياجمال



مركز الحضارة العربية

يا عم يا جمَّال

قصص قصيرة



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، ف : ٣١٤٨٠٤٢

محمد الناصر أحمد أبو زيد المليطى

يا عم يا جمّال

قصص قصيرة



الكتاب : يا عم يا جمّال
قصص قصيرة

الكاتب : محمد الناصر

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠١

رقم الإيداع . ١٦٢٧/ ٢٠٠١
الترقيم الدولى، I.S.B.N.977-291-281-3

الغلاف :
لوحة الغلاف : نادية نعمة

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : صفاء الشريف
تصحيح : زكريا منتصر

كان شيخ الشرف "المليط" ين جعفر بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق حفيد الإمام الحسين بن الإمام على رضى الله عنهما ؛ مشهوراً بالشجاعة والفروسية .

«بحر الأنساب»

نجع النابح

طفل فى الثالثة من عمره ، تتبركه أمه تحت شجرة سنط ، لتبحث عن شيء تسرقه من الزراعات المجاورة، كي تسد رمقهما، يتواجه مع كلب ينبح فى شراسة ، يضايقه نباح الكلب ، يعلو صوته بنباح آدمى ، يتضايق الكلب ، ينصرف ، ولم تعد أمه .

تمر امرأة ، لم يكن معها شيء تطعمه ، ولا تستطيع أن توقفه عن النباح ، تنظر إليه بقسوة ، تنبح فى وجهه ، يتضايق ، يصمت ، وتشعر هى براحة غريبة ، من يومها ، لا يوقف نباحه إلا نباح امرأة فى وجهه .

"أيها المملوء بغضبك ، المنتشى بنباحك ، القاسى مثل شجرة سنط، كن ما تكون فنباحك يعلو ، أعلى من نخيل النجع" .

دائما فى «عز الليل» يستيقظ النجع علي نباحه ، ترفس حريم النجع أزواجهن ، ينهضن ، يشخطن فى أطفالهن، ويهرعن إليه، يتحلقنه ويشاركنه النباح ، يلوذ الرجال بعصيهم الغليظة ، يلطمون أطفالهم ، يتحلقون الحلقة ، تهبط عصيهم على النسوة بلا رحمة ، تسيل الدماء ولا يتوقفن عن النباح ، حتى يتوقف هو ، تصمت حريم النجع ، تهدأ أجسادهن المرتعشة المخضبة بالدماء ، ينسحبن إلى فراشهن فى خنوع ، ينظر الرجال إليه ويضحكون ، يعودون وهم يفتلون شواربهم ، يسندون عصيهم الغليظة على أكتافهم ، ويسيرون فى خيلاء .

"دورى يا حلقة دورى
لا تدورى من غير حضورى

"كُفّى يا حلقة كُفّى
الليل ما عاد يكفّى"

أقسم إن لم يتوقف الكلب عن النباح ، ليقطعن لسانه ، ولسان كل امرأة تشاركه فعلته ، يقال إنه كان يعشق أم النابح ، لكنها لم تُمكّنه منها أبداً ، وعندما وجدها مع آخر قتلها ، ويقال إنه تمكّن منها ، المؤكّد أنه إذا ما سمع النابح ، ينتفض ، يدور حول نفسه ، يُحطّم كل ما يصادفه ، حتى يتوقف النباح .
يستيقظ النجع ذات صباح ، على النابح يجرى بين البيوت الطينية بدون لسان ، يتغيّر صوت النباح بعض الشيء ، أهالى النجع وجدوه أقرب إلى نباح الكلاب منه إلى النباح الآدمى .

توقف النباح ذات ليلة ، ظلت حريم النجع تتقلبّن فى فراشهن ، والرجال ينظرون إلى عصيهم الغليظة ، المسنودة بجوار فراشهم .

وجدوه يتدلى من رقبته بحبل مربوط فى شجرة ، تقبض أسنانه على لسان آدمى ، وكان يقف أسفل الجثة المُعلّقة ينظر إليهم فى تشفّ ، ينزف الدم من فمه بغزارة ، بدأ فى النباح ، لما تضايق أهل النجع من نباحه ، علا صوتهم بالنباح .

"أيها المتأرجح بين السماء والأرض ..
المتدلى من شجرة سنط
تأرجح كيفما شئت" .

الطين المراوغ

يهطل العرق ، فتلد الأرض نباتًا شوكيًا مرًا ، يملأ أنفه برائحة المشمش والتفاح ، الذى لم تلده الأرض وصار عصيًا .

النبات الشوكى المر ، يخرج من الأرض مثل شيطان ماكر ، يلتف بين أرجل الرجال والنساء ، يصعد إلى القلب فيحكم قبضته ، ويشعل فى النفس مرارته .

كلما رفع قدميه ، وهبطت ، يسقط العرق ، تلين التربة ، تصبح طينًا ، يتماسك حول قدميه ، يصير بقوة الأسمنت فلا يستطيع فكاكًا ، والطين يشيع فى روحه رائحة التين والبرتقال ، الذى لم ينبت فى أرضه أبدًا .

ينادى بأعلى صوته ، يطلب من الله الرحمة من هذا النبات المر ، وخلاص قدميه من قبضة الأرض "إن يكن هذا عذابك ، فامسح بملكوتك ، واسبغ رضاك على الأرض المتماسكة" .

يسيل العرق ، فتزداد قبضة الأرض تماسكًا على قدميه ، ويزداد النبات المر ارتفاعًا ، يصير أعلى من قامته .

تبحث المرأة عن رجلها الذى غاب ، تفتش فى بيوت العزباوات والمطلقات والأرامل ، نسيها وغاب ، ولو عاد للطمته على وجهه الفاتن، ولجلدته مثلما تفعل مع خروفها .

قالوا للمرأة التى تبحث عن رجلها : «رأيناه فى بلدة أخرى ، يصاحب امرأة ، أكثر جمالاً ، ودلالاً ، وعزًا»، لم تصدقهم ، فهى الجميلة، المدلهة ، الأبية ، وهو الساحر ، العاشق ، المراوغ ، شديد الغواية ، الذى يزيد الحديث عنه نبض قلبها ، ظلت المرأة تبحث ، وتفتش ، وتسأل حتى حصى الأرض ، والنسوة يسخرن من التى تركها رجلها واختفى .

عندما هبطت حقل المرارة ، هالها الارتفاع الباغت للنبات الشوكي ، صار أعلى من قامتها ، زادها النبات الملتف بللاً ، تساقطت حبات العرق مثل اللؤلؤ على شفتيها ، فتشيع مرارته رائحة الشبق الذى افتقدته منذ غاب رجلها ، كلما أوغلت فى الحقل ، زادت سخونة جسدها ، الملتف بقماش لايستطيع منافسة الجسد فى نعومته ، يسيل العرق ، يصل إلى الأرض فتلين ، تصبح طينًا ، تخوض ، يزداد النبات المر تشابكًا أمامها ، تبعده عن وجهها بكفيها الذين أدماهما ، عندما رأته ، كان واقفًا ، يلتف حوله النبات الشوكى ، وتمسك الأرض بقدميه فلا يستطيع فكاكًا .

"يا أرض اشربى من عرقى ، وكونى ناعمة طرية عليه مثلى ، وابلعى نباتك المر" . تلين الأرض بفعل عرقها ، تصير طينًا ، يزداد تماسكًا على قدميه ، ويلتف النبات على جسدها الناعم ليؤذيه ، تصرخ المرأة طالبة من رجلها أن ينقذها ، لاالرجل استطاع الوصول إليها ولا هى .

بكت ، والبكاء مر تفجّر من عينيها ، انسكب على الأرض ، يقتل النبات المر ، يتساقط من حولهما ، تزداد الأرض نعومة ورقة ، ويقل تماسك الطين حول قدميهما ، ينظر الرجل إلى دموعها التى تجرى على الأرض ، فتذهب من القلب مرارته ، وتحرر قدميهما من عبوديتها .

تصل المرأة إليه ، تلمسه ، يتهاوى مثل قطعة خبز هشة بين يديها ، تغرف منه ، وترش الأرض ، فتنبت تفاحًا وتينًا ومشمشًا وبرتقالاً ، لم تنبته الأرض من قبل .

الجُـــرَّة

يغادر مخبأه ، ينزل البلد ، طوله الفارع ، وضخامة بنيانه ، والعصا الغليظة التي لا تفارقه ، ونظراته القاسية الموغلة في الشر ، تجعل منه شؤمًا يمشي على قدمين على الجسر .

أربعون ليلة بالتمام والكمال ، يقضيها في مخبئه حتى يغادره، يصنع من طين الأرض تماثيلَ تشبههم ، بلا أيد أو أقدام ، وفي كل ليلة تطير رقبة تمثال بضربة سكين حادة ، تتدحرج الرؤوس كل ليلة ، وبعددها تكون الأيام .

أربعون رأسًا تتدحرج في مخبئه ، يدعك جسده بالماء ، يعيد للذقن نعومته ، وللرأس عمامته ، ينظر في المرآة لجلبابه الأنيق ، يشوط بحذائه اللامع أحد الرؤوس الطينية ، تصطدم بالحائط ، تتهشم ، ينظر لباقي الرؤوس ويغادر .

يختفي الرجال في بيوتهم ، عندما يسمعون بنزوله ، يخلو الجسر ، إلا من ولد لم يسعفه الوقت للهرب ، يصفعه على قفاه ، يبكي الولد ويجرى ، يبرم شاربه الكث ، ويواصل طريقه للبلد ، والعصا لمن عصى .

والعصاة ساكنون ، كامنون في مخابئهم ، يحتمون في أطفالهم ونسائهم ، يتوجسون شرًا وينتظرون .

قالت البنت لأمها : في المدرسة اليوم أعطوني قطعة من صلصال يا أمي ، وقالوا اصنعي تمثالاً لأبيك ، وجدتني يا أمي أصنع شيئًا غريبًا ، صنعت رأسًا بلا عينين ولا شفتين، له أنف مثل أنف الغراب ، يرتدى رابطة عنق على جلباب ، والغريب يا أمي ، أنني عندما نظرت إليه ، عرفت فيه وجه أبي .

احتضنت الأم بنتها ، ونظرت إلى زوجها ، الذى يختلس النظر من الشباك ، يتابعه وهو يسير على الجسر .

كلما مر على بيت ، دق على بابه بعصاه ، فيزداد احتماء العصاة بنسائهم وأطفالهم ، طرقات عصاه على الأبواب ، تزيد الرجال خنوعًا ، وتولد فى الحريم رغبة محمومة للمضاجعة ، يعتلين رجالهن ، ييأسن ، ويعاودن مشاركة الرجال خنوعهم ، ينهى دورته على بيوت البلد ، يتوجه إلى جبانتها ، يقف على قبر تهدمت بعض أحجاره ، يعيد رصها ، يجدد عهده ، ويعود من حيث أتى ، شؤمًا يمشى على قدمين على الجسر .

البغال رمادية اللون

عراك :

تلتف الأصابع على رقبته ، تضغط بقوة ، تعلو حشرجته ، تجحظ عيناه ، وتنفر عروقه ، كلما حاول أن يفلت منها ازدادت قوة ، جمع كل قوته فى ركبته ، ورفسه بين فخذيه ، صرخ ، تراخت الأصابع ، تخلّص منه ، وجرى تاركًا خلفه رجلاً ، يضع يديه بين فخذيه ، يتلوّى على الأرض من شدة الألم ، وبغلة يلعن اليوم الذى رآها فيه .

مكاشفة :

اتكئ على عكازك ، انهض ، انفض جبتك ، مد يدك ، وسر ، فإذا صادفك حائط ، قل : باسم الله . وامض ، تنفذ بمشيئته ، حتى تصل إلى نهر ريان ، اغمس يدك وقل : باسم الله الشافى المعافى . يرتد إليك بصرك بمشيئته فى طرفة عين ، فإذا لم يرتد ، فهذا ذنب الطواف الذى ولجت امرأته منذ ثلاثين سنة - ابتسم ولم يتكئ على عكازه - فامض عبر النهر حتى تجد صبايا مثل الحور العين ، يرتدين السواد ولا يبكون ، لا يبصرهم غير العميان ، فاعلم ساعتها أنك فى أرض الحزن ، خذ يد إحداهن وضعها فوق جبينك ، وقل : باسم الله الشافى المعافى . فإذا ظللت تراهن ، فاعلم أن بصرك لم يرتد ، وسوف يعجبك الحال يا والج امرأة الطواف ، فلا تمكث ، اهرب ، اركض أقصى ما عندك ، حتى يصادفك نخل يطرح بلحًا له مذاق غريب ، سم الله وكل واحدة ، لكنك لن تبصر - فأنت لص ابن لص ،

ورثت اللصوصية كابراً عن كابر ، جدك الأول كان لصًا للبغال ، رفسته بغلة فمات فى الحال ، وكانت فضيحة ، لكن جدك بعد الأول سار على سيرته ، وظلت سرقة البغال مهنة تتوارثونها ، حتى جئت أنت .

ولما لن يرتد إليك بصرك ، فشق ثيابك ، واضرب صدرك بيدك . حتى تخرج من صدرك بغلةٌ تركض ، يُسمع صوت حوافرها على بعد ثلاث سنين ، لا تركبها ، تعلّق بذيلها ، ودعها تسحبك إلى مدينة الأفق ، تلك المدينة الغريبة التى يظهر فيها الأفق - أخذ يسترجع آخر أفق رآه قبل أن يفقد بصره ، لكنه لم يتذكر ، وسقط العكاز على حجره - وعندما تصل إلى مدينة الأفق ، ادخل أول منزل يصادفك سوف تجده محاطًا بحديقة ، تتوسطها شجرة الوصول ، اجلس أسفلها ، وقل : باسم الله الشافى المعافى . لكنك لن تبصر يا سليل سارقى البغال ، سوف ترفسك البغلة تحت هذه الشجرة ، لتموت نفس ميتة جدك الأول

اتكأ على عكازه ، نهض ، نفض جبته فى وجهه ، مد يده وسار .

الحوافر :

وقع حوافرها على الجسر بحر هادر ، البغال رمادية اللون ، تركض ركض من لم يعرف أرضًا من قبل ، كأنها قادمة من السماء ، تلك التى وقع حوافرها يخترق القلب ، يعلم طول الرحلة حتى تصل إليه ، يترقبها كل غروب لا يبصره ، وقع

حوافرها على الجسر ، يشطر قلبه شطرين ، يقسم أن قلبه قد شطر إلى شطرين ، تقابله ضحكات المارين على الجسر ، يقسم أن وقع حوافرها صار قريبًا .

"قريباً تأتى ، تهدم فى طريقها بيوتكم الطينية" .

يلتف الصبية ، يضرب عكازه يمينًا وشمالاً ، الصبية حوله يتراجعون ، ثم يعودون ، يصرخ ، البغال رمادية اللون تهدر كالبحر ، والصبية يلتفون كالبحر ، وهو يتوسط الجسر فاتحًا صدره ، ملوّحًا بعكازه كى يرهب البحر .

الإمـــام

سبعون عاماً تهتز فوق «المنبر» كورقة فى مهب الريح ، اليد اليمنى تعلو وتهبط ، تطلب من السماء الرحمة والعفو ، واليسرى تتشبث بجدار «المنبر» ، يخشى السقوط ، العرق يتصبب من جبينه ، ينحدر على عينيه التى تنظر للمصلين بتحد .

"لم أصادف سحناً تليق بنار جهنم مثل سحنكم ، أحذركم النار يا من أعرفكم ، ليس منكم من هو جدير برائحة الجنة" .

قال له على الجسر : «من السذاجة يا ولدى أن تعيش فى المدينة كقروى ، لكن من العار أن تعيش بيننا كأفندى ، اذهب يا ولدى ولا تعد ، لسنا فى حاجة إليك ، ولم تعد فى حاجة إلينا» .

أنهى كلامه ، ونظر إلى الكتل الأسمنتية التى غزت الأرض الزراعية ، تركه ومضى يردد : «ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع» .

لاحقه بعيون يملؤها الدمع ، نظر إلى الكتل الأسمنتية ، ثم إلى جسده السبعينى النحيل : «من منا لم يعد فى حاجة إليه» ؟!

الصوت على المنبر يعلو : **"بلاد الله الواسعة ضاقت مثل نفوسكم ، لا خير يهبط من السماء على العاجزين ، ولا رحمة للائذين بنفوسهم ، الشقاء .. الشقاء ، يا ميراث الكذب والهوان ، يا من لا كبرياء لهم" ..**

يزداد الصوت علواً والجبين الطيب يرتفع فى إباء ، وعيونه تتحوّل من النظر للمصلين ، لتتقلّب فى السماء .

الجامع بلا سقف فى وسطه ، السماء قريبة من عينيه ، والشمس يكاد يلمسها بيديه والصوت يعلو . .

ظل يمضى على الجسر ، تكاد الكتل الخرسانية تطبق عليه ، ابتسم عندما رأى بقرة تخرج من باب عمارة ، يجرها فلاح يرتدى «الكوتشى» ، والولد يلاحقه برابطة عنقه الأنيقة ، وساعته اللامعة ، لم يلتفت خلفه ، لم يتوقف ، توقف الولد ، نظر إلى السبعين عاماً التى تبتعد عنه فى إصرار ، كانت البقرة تسير على الجسر ، والفلاح الذى يرتدى «الكوتشى» يمص قطعة قصب ، يضرب بها البقرة يحثها على السير ، ابتسم الولد ، وظل واقفاً .

الصوت على المنبر يزداد علواً وجلالاً ، ما عاد يخاطب المصلين ، يخاطب الله والملائكة ، اليد اليمنى تشير إلى السماء ، لم تعد تهبط أو تعلو . أشعة الشمس تنعكس على الجبين الطيب ، وعينه تنظر للسماء فى ضراعة : **الله .. الله .. هو الظاهر والباطن ، هو القادر والعافى .. هو الجبار المتعال .. هو الرحمن الرحيم .. هو العلى القدير ..**

كانت رؤوس المصلين تنظر للأرض ، والسبعون عاماً تنظر للسماء . .

الصعود إلى الجبل

في الممر الذى يتلوى كالثعبان ، يهبط من الجبل ، راكبًا حماره ، يحضن أمامه كومة من العشب الجبلى ، تنسكب فى عينيه أشعة الشمس المنعكسة على المناجل اللامعة ، وهى تهبط وتعلو ، تحصد القمح أسفل الجبل ، لم يبد له المنجل ، كما شاهده في الصور التي علقت على جدران البيوت ، وبجواره جمجمة ، وعندها يصير البيت مكانًا للموت ، لا يجب الاقتراب منه ، كان ذلك عندما هجم الوباء ، قبل أن يصعد الجبل .

فى الممر الوعر ، يهبط الحمار حذراً ، وهو فوقه يومئ برأسه لكل من يقابله صاعداً ، هو الهابط بعد غياب ، وهم الصاعدون فى طابور طويل ، لا يلتفت إلى تعليقاتهم الساخرة ، ينظر إلى أكوام القمح البعيدة ، التى تكبر فى عينيه كلما اقترب من النزول ، وعدد الصاعدين يقل كلما اقترب من الأرض .

ضايقه صعودهم ، كان الجبل ملكًا له ، وكانت أعشابه سراً مغلقًا على غيره ، والجبل مرتفع بارتفاع السحاب ، والممر لم يكن في يوم من الأيام آمنًا ، ولا كان الصعود سهلاً ، لدرجة أن يتضاحك الصاعدون وهم يتبادلون النكات

عندما وصل الأرض ، وجد أكوامًا من عيدان القمح ، تتداخل كأنها قبور ، على كل كومة منجل ، تنعكس أشعة الشمس على نصله اللامع ، نظر إلى الممر الصاعد فى حضن الجبل ، رأى الصاعدين ينظرون إليه ويتضاحكون ، وهو وحيد مع حماره ، وكومة من العشب الجبلى ، والممر موغل فى حلزونيته ، لا يصدق فى كل مرة أنه هبط منه سالمًا . نظر إلى الصاعدين ثم

إلى قمة الجبل ، حيث الراية التي غرسها قبل أن يهبط ، ترفرف من بعيد ، لم يستطع أن يتبين المنجل والجمجمة لبعد المسافة ، ألقى كومة العشب الجبلى على الأرض ، بدت مختلفة بجوار كومات أعواد القمح ، وعاد بحماره مرة أخرى يصعد الجبل .

الفـــارس

الشمس غريب يود العودة لوطنه ، وأحواض البرسيم تزيدها الشمس الغاربة قتامة ، والرجال الذين لا يحلمون يقفون في مدخل القرية ، ينظرون إلى البيوت الطينية ويوجهون خيولهم .

يهرب الرجال عندما يرونهم ، وتظل الحريم واقفات على باب دورهن ، ترفسهن الخيول ، يدخلن ، ويعاودن النظر من طاقات البيوت.

ينادى المنادى ، فوق فرسة الغادى :

"زمن الأحلام مضى وولى" .

والفارس لم يعد من حقله بعد ، مشغول بمضاجعة امرأته بين أعواد البرسيم ، لما سمع المنادى ، انتفض واقفًا ، امتطى فرسه ، هجم على البيوت الطينية ، أوقفته خيول القادمين .

- غادروا وإلا ستكون محرقة كبرى .

تركهم غاضبًا ، وعاد لامرأته ليكمل ما بدأ .

نادى المنادى فوق فرسه الغادى :

"هو قاتلكم ، الرجال الذين لا يحلمون ، لا يغادرون أرضاً نزلوا بها" .

نظرت النساء إلى أفخاذ رجالهن ، لوحن وجوههن ، وعاودن النظر من طاقات البيوت ، عاد الغريب إلى بلاده ، وأنيرت الواجهات الطينية بمصابيح النيون ، تمر خيول القادمين وتكسرها ، يخرج الرجال من مخابئهم حفاة عراة ، تمنعهم أياديهم المقيدة خلفهم من مداراة عوراتهم ، والحريم ينظرون من طاقات البيوت ، يقسمون أنهم ليسوا رجالهن .

سمعن صرختـه قادمة من أحواض البرسيم ، رأين غبـاراً لم يستطع الليل أن يخفيه ، يصل الفارس إلى حيث العراة الخارجون من مخابئهم ، ينظر هازئًا ، يمر أمام طاقات البيوت ، تعطيه الحريم مصابيح الغاز ، كي يثبتها على الواجهات الطينية ، يقذفها فوق أسطح المنازل ، تشتعل النيران ، تزغرد الحريم ، ويعود لأحواض البرسيم ، يتابع ألسنة النيران ويده تداعب شعر امرأته .

المســـافر

يدير «الشيخ» البصر في جوانب الكهف ، ينظر للمقتحم في ضيق ، ضوء المشعل الخافت لم يمكنه من تبين ملامحه ، تلك التي تداخلت مع صخور الكهف ، والكهف ضيق .

يختلس «المقتحم» النظر إليه ، ظل «الشيخ» على جدران الكهف ، يزيده وجلاً ، ونظراته القاسية تماثل قسوة كلماته .

"أيها المتبجح ، المتطاول على سكينتي ، بلاد الله واسعة ، ما ضاقت حتى تضايقني في هذا الكهف" .

يظل ضوء المشعل خافتًا ، ويبقى المقتحم على حاله وجلاً ، ينظر للشيخ في إصرار .

"شيخي" أنت غايتي ، جئتك من بلاد نسيت اسمها ، اجتزت أنهاراً وصحاري قفراء مثل قلبي ، وكتبت على كل حجر أني أطلبك" .

جلس «الشيخ» وظل «المقتحم» واقفًا ، تزداد ملامحه تداخلاً مع صخور الكهف ، وصوت «الشيخ» يتردد في جوانبه ، فيزيده وجلاً .

"إن أردت الراحة ، أعطيتك عذاباً لا يكفه عمرك ، اذهب ولا تعد" ، ثم أدار وجهه منهياً الحديث .

عاد «المقتحم» إلى خارج الكهف ، كان القمر غائبًا ، والنجوم متلئلئة ، والجبال وحوش تربض في سكون .

دفن «المقتحم» نصفه في الرمال ، رفع ذراعيه يعانق السماء ، ورددت الجبال : **"لن تغلبني ، أنت غايتي ، لو كنت أعرف موطناً لعدت ، ما عدت أعرف وطناً سواك ، أنت معرفتي ،**

أيها الساكن في ، فلتخرج مـن كـهفـك ، أو لتأكل السباع جثتـي .

قبل أن تغيب نجوم الليل ، كانت السبـاع قد أنهت على آخر عظمة من عظامه .

يا عم يا جمّــال

مثل «أبى العنز» يحجل فى مدخل السوق حافيًا ، محاولاً الهروب من لسعة تراب الظهيرة ، ينظر البائعون والمشترون للحاجل ويسخرون ، لكن عينيه لم تفارق الطريق .

والطريق ممتلئ عن آخره بقافلة من الجمال ، يقودها «المعمم» ، متجهة إلى السوق المكتظ بالخيول والحمير ، وبدأ الحاجل يوسع الطريق للقافلة .

ها هو «المعمم» عشق الجميلة وسرها الدفين ، جنىٌّ يمسك بلجام القافلة ، يقود جمالاً كأنها خرجت للتو من البحر ، ينظر إلى من فى السوق فى كبرياء ، يشق طريقًا مهّده الحاجل ببراعة.

عندما تمر الجمال، ترتفع تأوهات الباعة والمشترين ، يتقافزون ، ويقسمون أن جلودها تلمع كلمعان اللؤلؤ ، تخطو الجمال فى كبرياء ، «المعمم» يمسك بلجام الزهو ، و«الحاجل» يرقص حجلاً ، ابتهاجًا بقدومها .

أشار «المعمم» للجمال أن تنيخ ، وأشار للباعة والمشترين أن يبتعدوا ، والانشغال بما لديهم من حمير وخيول ، ضحك الحاجل والمعمم ، وضحكت الجمال ، أشار «المعمم» للجمال أن تنهض ، تشارك الحاجل فى حجله .

"يا الله ، كل هذا الجمال براقة الجلد تحجل ، ما أروع أن تحجل الجمال" .

توقف «الحاجل» فتوقفت الجمال ، دخلت الجميلة السوق فتشامخت الجمال، توقف الباعة والمشترون .

«المعمم» ينظر للأرض ، صدمته قدماها المخضبتان بالحناء ، رفع نظره ، صدمته عيناها المكتحلتان ، وقف «المعمم» ،

همهمت الجمال ، كانت الجمال تنظر للجميلة وتتشامخ والجميلة تتشامخ ، كلما تقدم «المعمم» من الجميلة ، تزداد الجمال همهمة ، عندما أمسك يدها ، استدارت الجمال نحو مدخل السوق ، وبدأت العودة إلى الطريق ، تراجع «المعمم» فتشامخت الجميلة وتشبثت بيديه .

رحلت الجمال ، وبدأ الحاجل يحدو .. سائلاً الجمَّال عن جماله ، و«المعمم» يمسك بيد الجميلة ، ينظر إلى الجمال التي ترحل .

السمـــاء

الغيوم تخبئ خلفها الشمس الغاربة ، وطريق العودة الترابى خال إلا منهما ، عاد الفلاحون إلى البيوت ، سكنت أجسادهم المتعبة .

- السما «وطيت» أم أن طولى زاد على كبر !

وصفه رفيقه «بالخرف» حثّه على السير ، فالطريق يصبح خطراً عندما يحل الظلام .

أقسم لصاحبه ، أنه عندما استيقظ هذا الصباح ، لم تكن السماء بهذا الانخفاض ، خبط كفّه جبهته ، تذكّر أنه فى الأعوام الأخيرة بدأ يلاحظ انخفاضها ، أرجع ذلك إلى ضعف فى بصره ؛ لكنه كان يتعجب عندما يرى فأر الغيطان على مسافة بعيدة .

- كانت السما زمان عالية !

كان يحلو له النظر إلى الغيوم والنجوم والقمر ، وعندما تملكه نشوة الصحبة والسمر ، يقفز محاولاً لمس الغيوم ، أو يقذف حجراً كى يصيب نجمة تسقط فوق رأس زوجته فتدكها ، يراهن الصحاب أن يشبك حبلاً فى القمر ، فيصعد ليحضر لهم واحدة من بنات القمر ، يتناوبون على مضاجعتها حتى يخرج الدم من أصلابهم .

واليوم فاجأته السماء بانخفاضها الشديد ، يكاد يلمس بيديه الشمس الغاربة ، حاول القفز ، خشى أن تصتدم رأسه بها ، تذكّر قفزاته الماضية ، كبّله العجز ، تملّكته الرهبة ، وصار جسده كتلة من البرد والعرق ، ترتعش على الطريق الترابى الذى لم تظهر بيوته .

اقترب منه رفيقه ، حاول أن يعيد الجسد المرتعش إلى سكونه ، دفعه بشدة ، وأسرع في مشيته ، كلما استمر في السير ، زاد انخفاض السماء فوق رأسه ، خوفه من الاصطدام بها ، جعله يحني ظهره ، نظر محتاراً إلى التراب الذى تغيّر لونه تحت قدميه .

البيوت البعيدة تأتى ، دائمًا يصفها بالقبور ، يتعجّب من ساكنيها ، يؤثر المكوث طوال النهار ومعظم الليل فى حقله ، وعندما يعود متعباً ينام فوق سطح بيته .

كلما زاد فى السير ، زاد ظهره انحناء ، والسماء التى يشعر بثقلها على ظهره ، صارت أكثر انخفاضاً ، ما عاد يستطيع التخلُّص من انحناءه .

خلع «رفيقه» شاله ، لَفّه حول عنق المنحنى ، أمسك بطرفه ، يجرّه خلفه ، يشق البيوت ، والمرأة التى علمت بما جرى لزوجها ، تمشى وراءهما ، تمسك عصا من الجريد ، تجلد ظهر المنحنى ، تحثّه على السير .

يـا جـدى

أمسك بلجام الليل ، وسدَّ رأسه الحجر ، وتنفس مثل حصان جامح ، تتمايل شواشى النخيل فوقه ، فتلقى عليه الأشباح ، وتتساقط النجوم فى عينيه نجمة .. نجمة ، والريح ساكنة .

كان جده يسمى النجوم بأسماء الرجال من العشيرة ، والنخيل بالنساء ، واختار له نجمة قصية .

عندما يثور جده ، يسب النجوم والنخيل ، "أيها الأشقياء لن يبقى أحد منكم قادراً على البكاء أو الضحك" .

لم يكن جده عرافًا ولا كان زاهداً ، كان مثل أشجار الجميز ، دائم النظر إلى النجوم ، ودائم اللوم لهم .

ينهض ، يقذف بالحجارة النجوم ، فتتساقط الحجارة فوق رأسه كالمطر ، يدور حول نفسه ، يخاطب النخيل حوله ، يلعن مثل جده النجوم والنخيل ، تتساقط الدماء من رأسه ، يتحول لون الأرض ، يخمش بأظافره الأرض فتعوى ، ينظر للسماء ، وجده ينظر إليه .

يحضنه الجد ، يربت على رأسه ، يمسح الدماء بالتراب ، ويعوذ بآيات الله التامة ، حتى يكف الجسد عن الارتعاش ، يمسك الجد بيديه ويمضيان ، شبحين ، حيث مقبرة القرية .

عندما افتقد كف جده ، لم يواصل السير ، عاد ناظراً للسماء ، كانت النجوم تتساقط فى عينيه نجمة .. نجمة .

ذلك الارتـــواء

خرج ذات صباح ، يحمل بلطته ، يبحث عن جذع شجرة ، يصلح سنادة لتكعيبة العنب ، التى أوشكت على السقوط ، لكنه عاد بها ، كي يسند حياته التى استطالت فروعها .

خرج ذات ليلة ، يفتش عن قطعة من خشب «السنط» ، تصلح جذوة نار ، تزيد «الجوزة» اشتعالاً ، وتدفئ صدره بدخان المعسل ، عندما عاد ، شاهد الفتى الذى يشبه فلقة القمر ، يفتش فى المشتعلة التى لم تشتعل منذ سنوات .

شق الفأس الأرض ، وظل يشق ، سال العرق ، حتى أصبح شلالاً غمر الأرض ، لما ارتوت ، رفع الفتى فأسه ، وظل ينظر إلى الأرض فى انبهار .

كان مثل الفتى فى قوته ، ثم أسيراً لهوى المشتعلة ، التى لم يشعلها قط ، ولما حاول ، ظلت تراوغ ، وتتمطى ، وتتمدد ، مثل فروع العنبة التى استطالت على تكعيبتها ، وعندما مد جذوعه يسندها ، اكتشف أنها ما عادت تكفى ، طالت واستطالت ، توغلت فى الارتفاع والهبوط ، احترق حتى قدميه ، وفى النهاية ، تذكر الفتى الذى يشبه فلقة القمر ، ضحك حتى سعل ، وخرج يبحث عن خشب «السنط» كى يشعل «جوزته» ليملأ صدره بدخان المعسل حتى الفجر .

الفتى يضرب بفأسه ، وهو بجواره يشد من أزره ، كلما رفع الفتى فأسه ، ترك خلفه حفرة «دوينة» ، وهو يردم ما حفر ، كان الفتى قويًا ، وكان هو راضيًا بما تفعله فأسه فى أرضه العطشى ، نظر الفتى إليه ، ثم عاد يضرب بفأسه بقوة ، حتى صارت الأرض مزيجًا من العرق والرضا .

عندما كانت جدته تناديه ، كان لا يجيبُ النداء ، فتخبره أنه سيظل هكذا ، لا يرد ، حتى يأتي وقت ، لن يمكنه الرد ، صار غلامًا ذكيًا ، ثم رجلاً قويًا ، ثم واقفًا على أرضه التي لم ترتو ، يشد أزر الفتي شبيه القمر ، ويمسح العرق من على جبينه .

جدتي لماذا لم تموتي إلى الآن ؟ فحفيدك قارب الرحيل ، وأنت مازلت تقصين حكاياتك لنعاجك الخمس ، وتلعنين الذين لم يأتوا إليك، كي يسمعوا حكاياتك المكررة ، وتسخرين من تلك الأرض ، التي كلما ارتوت ازدادت عطشاً ، ومن ذلك الفأس الذي يحرث في الماء ، فلا الأرض ارتوت ، ولا الفأس استطاع البقاء .

الفتي يضرب بفأسه في خيلاء ، يمتطي الأرض التي لا تكف عن الصهيل والمراوغة ، حتى يغمرها الماء ، وهو يمرق الفتى راضيًا ، سعيدًا بذلك الارتواء .

القابع

يخرج من بين تفاصيل الأشياء مسحوراً بالكشف ، يبحث عن ذاك القابع فى قلب مدينتنا ، والمتجذّر بين نفوس تعرف أو لا تعرف ، أن تفاصيل الأشياء ، قد تبدو شيئًا ممقوتًا حين نريد ، وحين نريد تبدو كسياج يحمينا من خارجنا ، أو تغلق أبواب مدينتنا ، تحمى خارجنا منا ، نحن الحراس على آخر زهرات مدينتنا .

وآخر زهرات مدينتنا تنتظر من قالوا إنه لم يولد بعد ، أو مازالت تتلقّفه الريح ، لتسلمه لريح ، لكن وصوله ، موعده لم يتحدد بعد .

يقال بأن القادم لن يأتى ، وأن نبوءات العرّافين الملقاة على أرصفة مدينتنا كاذبة ، ويقال بأن القابع لن يسمح له ، لكن المتيقن ، أن ترسل آخر زهرات مدينتنا فى كل مساء كشافًا ، لم يرجع أبداً حتى خاف الكشافون .

يخرج من بين تفاصيل الأشياء ، يبدأ رحلته ، يمسك آخر مصباح ، يودعنا نحن الحراس على آخر زهرات مدينتنا – من وهبته زيتًا للمصباح ، فيضىء بنور عطرى ، ويمضى ، يسقط ضوء المصباح العطرى على الجدران ، ذات الأبواب المنغلقة ، لا يتوقف عند أنين الأبواب ، أو عند الضحكات الفجة ، من بين شبابيك لم تفتح أبداً ، ولا تستوقفه سخرية الألوان الباهتة على الجدران .

والألوان على جدران مدينتنا باهتة ، يقال بفعل الريح ، ويقال استيقظ أهل مدينتنا ، فاكتشفوا أن الألوان صارت باهتة ، والمتيقن أنه فى ذاك الزمن ، لم تأت ريح .

يهتز المصباح العطرى بين يديه ، بفعل الريح القادم من أبعد ما تصل إليه الخطوات ، يتجنبها خلف جدار ، تمضى الريح ويمضى ، تتسارع خطواته ، يخشى أن يتلاشى عطر المصباح ، أو يخبو نوره ، تطارده تفاصيل الأشياء ، فيطاردها ، تهرب منه ، فيمضى ، تعود ، تحوطه ، يختنق ، يركض ، تتبعه كظله ، فيظل يطوح بالمصباح يمينًا ويسارًا ، يزداد أنين الأبواب ، ترتفع الضحكات الفجة ، يهتز المصباح بشدة ، يستند إلى جدران الألوان الباهتة ، يتذكّر أن المصباح آخر ما نملك ، نحن الحراس على آخر زهرات مدينتنا .

متشابهة هى كل الطرق ، ألوان باهتة ، ضحكات فجة ، وخيول تمرح مرحًا جنائزيًا ، تتابعها نساء يصحبهن أطفال عمى ، وأرصفة تكتنز بأحدث ما كتب العرّافون ، سموها النظرات الثاقبة ، رؤيا تبحث عن مغزى ، أن تكتنز مدينتنا بنبوءات ، هى أول ما تجرفه الريح ، حين تهاجم بضراوة ، تتبعثر ، ولما تمضى الريح يأتى القابع فيعيد للأرصفة نبوءاتها المبعثرة.

تزداد تفاصيل الأشياء كثافة ، يتضائل ضوء المصباح العطرى ، تنادى آخر زهرات مدينتنا أن يرجع ، لا يرجع ، يتقدم مسحورًا بالكشف ، يفتش عن ذلك القابع فى قلب مدينتنا ، يركض ، يتلاشى نور المصباح العطرى ، ينتحب نداء آخر زهرات مدينتنا ، تزداد الألوان الباهتة على الجدران ، وتزداد تفاصيل الأشياء كثافة .

قصتان للبحر

يا خالة
موقعة المشمش والليمون

يـا خـالـة

قال أحبك ، ركب سفينته وأبحر ، فلمَ قال بالله يا خالة ؟!

احـتـوى هديره بكاءهـا ، ارتمت فى حـضـن العـجـوز التـى نظـرت إلى أمـواجـه ، وربتت على البنت ، ذكّـرتهـا أنهـا دائمـا كانت تُحذّرهـا البحر .

والبـحـر أمـامـهـا كـائن لا نـهـائى يملؤها بالغـضب ، تقـذفه بحـجـارة الـشـاطـئ فى عنـف ، تصـرخ صـراخ امـرأة مهـزومـة : **"أرجعه لى ، وإلا ستنضب مثل دموعى" .**

البنت تملأ من مياه البحر بكفيها الرقيقتين ، تصبه على رمال الشاطئ مهددة إياه بالنضوب ، فستشرب رمال الشاطئ مياهه .

والعجوز تنظر إليها وتضحك ، ما لم تضحكه طوال عمرها ، منذ أن أبحر أول حبيب ولم يعد .

- يا ابنتى .. حتى تكايـدى البـحـر ؛ أظهـرى عـدم خـوفـك منـه ، هو جبار يكره المستهزئ بجبروته ، اجعليه يعشقك .
- وهل يعشق البحر يا خالة ؟
- لا يعشق إلا الصبايا الحور .

وقفت البنت على الشاطئ ، تنظر إلى البحر فى دلال ، تغرف من مياهه ، تصب الماء على جسدها قطرة ... قطرة ، يزداد هدير البـحـر ، ترتفع الأمـواج ، تهـجـم على الشـاطـئ ، تحتوى البنت ، وتعود بها للبـحـر ، والبنت تضحك ، والعجـوز تضـحـك ، مـا لم تضحكه طوال عمرها .

موقعة المشمش والليمون

كأن كل شياطين وادى «درنه» تلبستها ، قذفته بحبات المشمش في غضب ، من لا يعرف سيدى «عمر المختار» لا يعيش في وادينا ، ارحل قبل أن أسلّط عليك كلاب منازلنا ، ينهشونك ، ويقطعون جسدك قطعًا صغيرة ، ثم يلتهمونها ، وإذا تبقت قطعة صغيرة ، أحمصها في الشمس ، وأحتفظ بها لأكافئ كلبتى ، عندما تفعل شيئًا يضحكنى .

اقشعر بدنه عندما تخيّل نفسه قطعة لحم محمصة فى فم كلبتها ، اختار أضخم حبة مشمش ، وجّهها إلى صدرها الصغير ، الذى يشبه ليمونات شجرة جدتها ، سقطت حبة المشمش بالضبط حيث يريد ، بكت ذات الضفيرة الحلوة ، وهبطت تجرى نحو المنازل أسفل التل .

البحر قريب ، وضفيرتها الطويلة قريبة من يديه ، وعينيه تتابعها وهى تهبط التل ، تتوعّده .

هبط الناحية الأخرى من التل ، تدحرج على العشب الأخضر كأنه حجر ، تلقّفه البحر ، أدهشه أنه يشبه بحر «الإسكندرية» .

قال المُدرّس : لم يستطع الإنجليز أن يتغلبوا على «أحمد عرابى» إلا عندما خانه من حوله ، غاظه أن تسأله من هو «أحمد عرابى» ؟ غرس دبوس الإبرة فى فخذها الذى يشاركه الدرج . ترفعه الأمواج ، يراها أعلى التل تتوعّده ، بدت له كإحدى جنيّات حكايات «سيف بن زى يزن» ، تمسك سوطًا ،

تحيط بها كل كلاب الوادى، «سوف تعوم حتى تصل بلدك».
ضحك .

يحتمى بالبحر ، وتحتمى بالكلاب ، تحدّاها أن تصل كلابها إليه ، فرقعت بالسوط ، فهبطت دبابات «موسولينى» مسرعة نحو البحر ، أوقفها رذاذ الموج ، تحدّاها أن تصل كلابها الجبانة إليه ، ضربت الكلاب بقسوة ، لكن الكلاب تخشى الموج ، فكت ضفيرتها الحلوة ، وجلست على حجر برتقالى وسط كلابها ، تعيد جدلها ، تحدّته أن يخرج ، وخيّرته بين أن يظل فى البحر حتى يأكله سمك «درنه» أو يعود عائمًا إلى بلاده .

متتاليـة النـــار

(١)

الساحة التى تواجه الجامع تمتلأ بالباعة والمشترين ، والرجل معاق الحرب ذو العكازين الخشبيين ، يتحرك بعصبية ورشاقة ، يحسده عليها الأولاد الذين يطاردهم . كى يمنعهم من لعب «الأتارى» على عتبة الجامع.

يقطع المشهد بين حين وآخر ، رجل يمتطى حماراً ، أوامرأة (مزغنفة) تسرع خطوتها حتى تعبر الساحة ، خجلاً من رجال ينظرون إلى كعبيها الذين يظهران من «البردة» ، وهم يجلسون يسندون ظهورهم على جدار الجامع .

وتتداخل فى المشهد أصوات الباعة ، مع صياح الرجل ذى العكازين الخشبيين . وأصوات الأولاد وهم يهربون ، فيخرجون من الكادر .

(٢)

يعود الأولاد إلى الكادر ، يقودهم ولد يحمل فى يده صفيحة من «الجاز» ، فيعاود الرجل نهرهم ، محاولاً طردهم من الكادر ، والأولاد لا يهربون ، يصنعون حوله حلقة ، وهو بعكازيه الخشبيين يبدو أطول منهم بكثير ، يلقى الولد من الصفيحة بعض «الجاز» على عكازى الرجل ، ويلقى آخر بعود الكبريت ، يشتعل العكازان ويهرب الأولاد إلى أطراف الكادر .

(٣)

الرجل المباغت ذو العكازين المشتعلين ، يجرى في أنحاء الساحة ، فيهرب منه الذين يسندون ظهورهم على جدار الجامع ، ينظرون إلى كعوب الحريم التى تمر ، ييأس الرجل ، ينظر إلى عكازيه الذين يتآكلان بفعل النار ، تقصر قامته تدريجيًا ، يعود الأولاد للاقتراب منه ، يصب أحدهم صفيحة ماء على العكازين المشتعلين الذين تآكلا فينطفئان .

ينظر الأولاد - الذين صاروا أعلى قامة منه - ويسخرون ، يعودون للعب «الأتارى» على عتبة الجامع .

حجّاكم الله

أحجية النطـــح

حجاّكم الله

قولوا ... خير إن شاء الله

....

"البنيَّة عشقت
والوليد ما هو دارى
أصل الوليد حالم
وفى حلمه مدّارى"

بقلم «الكوبيا» خط كلمات . ثنى الورقة عدة ثنيات ، مرر خيطًا خلالها ، وصنع قلادة ، أمرها أن لا تخلع «الحجاب» من رقبتها البضة ، حتى يأتى إليها راكعا ، الجبان الذى لا يعرف قدر الحسان ، مالت البنت برأسها ، أحاط رقبتها بالقلادة ، نظر إلى «الحجاب» على صدرها ، ووصف محبوبها بالوغد ، الذى يتجاهل هذه الحوراء النهداء ، قسمًا بمن خلق الجمال على الأرض ، ليدورنّ هذا النكرة حول دارك كل ليلة ، فلا تفتحى بابًا ولا شباكًا ، أطلقى عليه خرافك ، تنطحه .

أمّنت البنت على كل وصف وصفه به ، وأعجبتها فكرة النطح ، سوف تلقيه أرضًا ، تدهسه ، تقطعه إربًا ، وتبعثره على التراب أمام دارها ، مثل كبريائها الذى يبعثره كل يوم ، بتجاهله لها أمام البنات على النهر .

عندما همت بدخول دارها ، رأته يدور حوله ، نظرت إلى الحجاب الساكن بين نهديها ، رفعته إلى شفتيها ، لثمته : «ينصر دينك يا شيخ عبد المتجلى» تذكّرت حديثه عن خرافها ، ذهبت إلى حظيرة الدار ، فتحت الباب ، شاهدت الخراف بجوار العجل البرّاوى ، تركتها وفكت قيد العجل ، ضربته بالعصا على مؤخرته ، انطلق خارجًا ، كان الولد أمام باب الحظيرة ، يسأل عن «جحشه» الذى اعتادت حمارتها غوايته ، فوجئ الولد بالعجل ينطلق كالسهم تجاهه ، حاول تجنّبه ، نطحه العجل فى بطنه ، وهرب ، تاركًا الولد يتلوّى على الأرض من شدة الألم ، اقتربت منه ، وضعت كفها الحناة على قلبه ، أشار إلى أن الألم فى بطنه ، نهضت فى كبرياء ، أخبرته فى شماتة «هذا ذنب أحد أغضبته» وتركته مبعثراً على التراب أمام دارها ، بين الحياة والموت .

عندما حكوا للشيخ «عبد المتجلى» ما حدث ، تبسّم وقال :

- البنت حرّاقة ، ويبدو أن الحجاب كان حرّاقًا حبتين .

أحجية أم العقارب

حجّاكم الله

قولوا ... خير إن شاء الله

....

"خشّي الدار يا صبيّة
أم العقارب ... معديّة" .

جدار العلبة الصفيح الأملس ، يسقط العقرب كلما حاول الصعود ، فيعاود التسلّق ، أمالت العلبة فى رفق ، خرج مسرعًا رافعًا ذنبه ، متوجهًا إلى وسط الغرفة ، استقبلته أعداد هائلة من العقارب ، أحاطوا به على شكل دائرة ، يفحصون الغريب القادم ، نظرت إليهم وابتسمت ، أعادت غلق الغرفة بإحكام ، وتوجهت إلى خارج الدار .

عندما مرت بالنسوة ، تهامسن على «أم العقارب» ، حذّرن أطفالهن أن يبتعدوا عن طريقها ، ربما تحمل بين ثيابها عقربًا ، نظرت ، وصمتت .

عشرون عامًا تجمع العقارب من أزقة البلد ، ينام الرجال على أسطح المنازل دون خوف ، والأطفال فى الأزقة يلعبون فى سلام ، حتى فى الأمسيات الصيفية ، التى يكثر فيها خروج العقارب من جحورها ، لا يشاهدها الناس ، صارت القرى المجاورة تتندر على جارتهم الخالية من العقارب ، التى لا تخيف أحداً ، يمشى

اللصـوص في قلـب الليـل بـلا أحذية ، فلا يسـمع لهم صـوت ، ولا تؤذى لهم قدم ، يسرق اللصـوص وكأنهـم في نزهة ، فيـما مضى كانوا يسـمعون كثيراً عن اللصـوص الذين ماتوا من لدغة عقرب ، صادفهم في زريبة ، أو على سياج شباك ، أو بين ملابس أهل الدار.

توجهت إلى بائع السـلال ، اشترت سلة كبيـرة ، لم تقايضـه على الثمن كعادتها ، وتعجّب البائع .

منذ بدأت تجمع العقارب ، صارت تعرف أنواعـها التي تعيش في البلد ، وتعـرف الغـريب الوافـد ، كل ليلة تنظر إلى غـرفـة العقـارب المغلقة بإحكام ، تحاول أحيـانًا التذكُّر كم ألفًا وضعت بداخلهـا ، وبكم بدأت ، تزاوجت العـقـارب وهى لم تتـزوج ، وأنجبت العـقـارب ولم تنجب ، محـسـودة العـقـارب عندها على الونس الذى تعيش فيه ، أحيانًا تنظر إلى الـدار الخاليـة ، وتهرب إلى الخـارج ، تبـحث عن امـرأة تحكى لهـا مـا فـعلته مع زوجـهـا البـارحة ، أو حكاية عن ابنتهـا التي تعشق ابن جارهم ، ورأتهـمـا على سـطح الدار ، يعبث فى صـدرهـا ، فـاجـر مـثل أمـه ، غـرّر بابنتها ، فتضحك «أم العقارب» على البنت البريئـة مثل أمها .

تتـرك بائـع السـلال ، وتعـود إلى دارهـا ، تجـمع حـاجـاتهـا القليلة فى السلة ، تحكم غطاءها ، تنظر للبـيت الخـالى ، تفـتح غرفة باب العقـارب ، وتغـادر الـدار مـسـرعـة ، تنطلـق العقـارب كالسيـل إلى صحـن الدار .

من بعـيـد تشـاهد آلافًا من العـقـارب تخـرج من باب دارها ، تنتـشـر فى الأزقـة ، تدخل البـيـوت والزرابى ، وتمـلأ الحـقـول كأنهـا ماء .

أحجية الساقيـــة

حجّاكم الله

قولوا ... خير إن شاء الله

....

"دوّارة يا ساقية

حتى لو النبع جف" .

الشجرة تجاور الساقية ، والشيخ على جذعها يتكئ ، البقرة الوحيدة المتبقية تدور ، ولسعة برد الفجر ، تجعله يحكم جلبابه الصوفى على جسده ، والعظم وهن .

عيناه الغائرتان تتابع القادم على حماره ، يترجل ، يرفع نظره إلى الشمس الوليدة ، ويتعجب من الشيخ الذى جن على آخر أيامه ، تدور البقرة من الفجر إلى الغروب ، تدير ساقية جف ماؤها ، واستعاضوا عنها بترعة جديدة ، يصفها الشيخ وهى تشق الزرع بثعبان .

لا يهتم بتعجبات محدثه ، يحكم جلبابه الصوف حول جسده ، ينظر للساقية التى تدور ، ويردد أناشيد الفجر ، يحث البقرة على الدوران ، وينعى الساقية التى جف ماؤها .

أناشيده تثير فى محدثه الشجن ، يجلس ، يصغى للشيخ الذى كان زينة المجالس وضوءها ، لا يشبعون من حديثه ، ولا يرضون بغيره حكمًا بينهم ، ولا تتم أفراحهم إلا بمباركته

«حق علينا أن تظل السيد المطاع حتى يزورك الموت ، ردد أناشيدك كما شئت ، في الفجر أو الغروب ، رحل القرناء وظللت وحيداً ، تملؤنا بالشجن ، والحنين لما كنت ، أنت الساكن في أرضنا ، أعمق من الساقية التي جف نبعها ، وفي نفوسنا حتى آخر «جد» أيها المتلحف بحكمتك» .

تنبّه على توقف الساقية ، والبقرة ساكنة ، أوقف الشيخ أناشيده وتوجه إليها ، حثّها على الدوران ، لم تتحرك ، ضربها على ظهرها ، أخذ يدفعها ، حتى وقف أمامها مهزوماً متعباً ، خلّصها من الساقية ، أزاحها جانباً ، ربط نفسه بالساقية ، واستمر في الدوران ، مردداً أناشيد الفجر .

أحجية البنـــادق

حجّاكم الله

قولوا ... خير إن شاء الله

....

"الأم ثكلى ، والفراق أمرّ

والوليد بدّر ، كأنه ما مر".

لطخت بالطين وجهها ، وضعت «جالوسًا» كبيرًا منه على رأسها ، شقت صدرها ، وهى تعدد على الذى لم ترتو منه ، والأم تنظر لعروس ابنها ، ولابنها المغدور على الأرض ، وتصمت .

على رأسيهما تقف مائة بندقية ، وعلى الأرض تتمدد ثلاثون عامًا من الحب والكره على هيئة رجل ، أوغل فى الثأر ، وأوغل الثأر فيه ، بوابة للموت أينما حل ، وطريقًا للهالكين .

تنظر المرأة لأم زوجها المغدور ، وإلى المتوسد الأرض أمامها ، تنهض ، ترفع طرف جلبابها ، تكشف عن ساقيها ، ترقص مثل فرس أصيلة ، تتيه أمام محبوبها ، تنطلق مائة بندقية ، كى تذهب الشيطان الذى ركب البنية ، تضحك ، تتمايل مثلما كان يحب ، تقول للبنادق المحيطة : سيعود الليلة كعادته ، مهمومًا كشيخ ، متعبًا كطفل ، توسده شعرها ، وتهمس له فى خجل أنها تحبه .

حضنتها أم زوجها ، سترتها :

«وهل يعيد الرقص يا ابنتي المغدورين» .

غمست كفها في دم ابنها الممزوج بالطين ، لطخت وجه عروسه ووجهها .

يا بنتي لا يريح المغدورين غير الدم والبنادق .

وأمرتهم بدفن ابنها .

أحجية السلكـاوى

حجاّكم الله

قولوا ... خير إن شاء الله

....

"السفر طوّل
والزاد قليـــل
والموت قـــرّب
افرح يا عليل"

من أقوال السلكاوية

أوشك الماء على النفـاد ، والسلّوم خلفـه أصـبـحت بعـيـدة ، القليل المتبقى من الماء فى الصفيحة الصدئة لن يكفيه حتى يصل إلى الحدود الليبـيـة ، تشابهت الطرق ، وغابت العلامـات ، التى تطوع «الشيخ» فى السلّوم بتحديدها له .

تذكّر آخر مرة رأى فيهـا الرئيس «الســادات» فى تلفزيــون الغـرزة فى النجع .

قال له الشيخ : يا ولدى .. إذا لم تنجح فى اجتيـاز الأسـلاك الشـائكـة خـلال ثلاثـة أيام ، فـأنت هالك لا محـالة ، وسـتأكلك الصحراء مثل الكثير من سابقيك ، عد يا ولدى لامرأتك التى تنتظرك كل مساء .

لم يقـل للشـيخ إنه لا امرأة له ، واكـتـفى بـالابتــسام ، ودّعـه

الشيخ بسيل من الشتائم ، عليه وعلى كل هؤلاء الجنوبيين ، الذين يعشقون الموت سلكاوية على الحدود .

أيقن الموت ، والسلكاوى النبيه هو الذى يهيئ لنفسه ميتة جيدة ، تليق بسلكاوى جنوبى ، فلا يترك جثته فى الصحراء طعامًا للطيور الجارحة .

نظر إلى الجبال حوله ، تمتم للصحراء شامتًا : لن تنعمى بجثتى .

فى صعوده للجبل دخل كهفًا ، أعجبته فكرة العثور على هيكله داخله بعد ألف عام ، لكن الجدران الخالية من أية كتابة أو رسم ، لا تليق بهيكل عظمى «لعظيم» ، أمسك قطعة حجر ، وملأ الجدران بالحكايات التى تمناها ، وطعمها برسم لحمارة جده ، ومعزات جارته ، وطابور الدبابات التى يراها كل عام فى العرض العسكرى ، ورسم نفسه ممسكًا ببندقيته يطارد مجموعة من الجنود ، وفى القليل المتبقى من الجدران كتب «بعد معارك طويلة ومريرة ، قادها صاحب الهيكل العظمى ، كبّل فيها الأعداء خسائر فادحة ، استطاعوا بعد خيانة ، أن ينتصروا عليه ، قرر بعدها الهرب خارج الحدود ، لكن الموت كان أقرب من الحدود» ، أنهى الكتابة ، تذكّر أستاذ التاريخ فى الجامعة ، أسند ظهره للجدار ، وراق له الموت .

استيقظ على صفعات ضابط الوردية ، التى تمشط الجبال بحثًا عن السلكاوية .

- سلكاوى وضلالى ؟!

تزداد الصفعات ، كلما أوغل الضابط فى قراءة الجدران ، يشاركه الجنود الضحك والصفعات .

أحجية السـروب

حجّاكم الله

قولوا ... خير إن شاء اللّه

....

"يا طير يالى براجلها فى عز النهار
سارب
شق السما ، غنى للموت اللى اتخلق
قارب"

والإنجليز عندما هجموا على جدك ، وقف سبعًا يا ولدى ، يتلقى البارود فى صدره مثل «مصعب» فى أحد ، عندما قطعوا يديه ، ظل حاضنًا الراية بضلوعه ، وجدك ظل حاملاً بندقيته ، والإنجليز حوله من كل حدب ، كان البارود يرتد من صدره عليهم .

- كيف يا جدتى ؟!

ولما يئسوا منه ، رموا شباك «التبن» عليه ، فكان مثل سبع أسير ، يضرب شمالاً ويمينًا ، يقطع بأسنانه الشباك ، وينسل مثل الشعر من العجين ، قال الإنجليز : هذا شيطان .

خافوا وما استطاعوا الاقتراب منه ، خرج فجأة من بين بيوت البلد ، ولد «مرجانة الزانية» ، كان يعشقنى يا ولدى ، لكن لى فى الرجال نظرة ، ما كان خيَّالى .

قال ولد مرجانة : صوبوا بنادقكم على العين والفم .

كان جدك مليحًا ساحراً ، غواني بعينيه يا ولدى ، ولسانه الشاعر ، ضحك على قلبى ، وقلبى ما عرف الضحك بعده .

صوّب الإنجليز الملاعين على عينيه ، تناثرت زهور أجمل من زهور بلقيس ، وصوّبوا على الفم رفرفت طيور فى جمال طيور الجنة ، وقتها فقط سقط جدك على ركبتيه ، وظلت البندق ترخ عليه كالمطر ، سقط مثل «سبع» يمسك ببندقيته التى نفد بارودها ، وما استطاع الإنجليز الاقتراب منه .

يقول من رأى : نزل طائر كبير من السماء ، لو ضرب بجناحه يقتل مئات ، أخذ رجلى وشق السماء ساربًا تحت شمس الصباح .

ومع كل شروق يعلن الإنجليز عن اختفاء واحد منهم ، قالوا هذا بلد ملعون ، لم يكملوا أسبوعًا ، فى قلب النهار ، كانت جموعهم تغادر ساربة .

الفهرس

من قائمة الإصدارات
رواية - قصة

ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد	حرب أطاليا	خيري عبد الجواد
حمدان طليقا	أحمد عمر شاهين	حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
الثلاثية الروائية	د. أحمد إبراهيم الفقيه	حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الهاجس	أحمد بدران	التوهمات	خيري عبد الجواد
ظل باب	أحمد محمد حميدة	الطريق والعاصفة	رأفت سليم
وقائع غرق السفينة	إدريس علي	في لهيب الشمس	رأفت سليم
واحد ضد الجميع	إدريس علي	اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
المبعدون	إدريس علي	أنا وتورا وماعت	رفقي بدوي
صخور السماء	إدوار الخراط	سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط	شجرة الخلد	سعد القرش
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط	تائهون فى الحياة	سعدية البياتى
يقين العطش	إدوار الخراط	شهقة	سعيد بكر
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط	حبيبى يا ناس	سليمان كابو
متى تتزوجنى ؟!	أشرف خليل	قطار الساعة ١٢	السيد الشوربجى
حذاء السيد المنسى	أشرف العوضى	أيام هند	سيد الوكيل
عندما تبيض الديوك	أمجد صابر	كف مريم	سعيد سالم
لا أحد يحبك	أمانى فهمى	سفر الموت	شاطبى يوسف ميخائيل
همس العاشقين	أمين بكير	الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
حكايات من دفاتر النسوان	أمين بكير	أيام الغربة الأخيرة	صالح سعد
ألم يخلقها الله امرأة	أمين العزب	الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
مأساة أسرة	أمين العزب	الخرابة	د.عبد الرحيم صديق
الخيول الشاردة	بهى الدين عوض	الغربان لا تختفي أبدا	عبد الفتاح صبري
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطانى	جسد في ظل	عبد النبى فرج
مطربة الغروب	جمال الغيطانى	الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
تكوينات الدم والتراب/الخروج عن النص	د. جمال التلاوي	ليس هناك ما يبهج	عبده خال
المتعبون	جمعة محمد جمعة	لا أحد	عبده خال
دموع إيزيس	حسنى لبيب	آخر ما قاله النهر	عز الدين الأسوانى
بالمقلوب	د. حمدى عودة	صعيدي صنج	د. عزة عزت
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازى	في انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه	سراديب	عفاف السيد
أيام الفزع في الجزائر	خالد عمر بن ققه	إينارو	د. على فهمى خشيم
يومية هروب	خيرى عبد الجواد	حكاية الشمردل	عمار على حسن
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد	الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد	جنية الشفق (قصص شاعرية قصيرة جدا)	د. فاروق أوهان

البحر يفرق	د. فاروق أوهان
وجهها وطن	فاطمة يوسف العلي
تاء مربوطة	فاطمة يوسف العلي
ينابيع الحزن والمسرة	فتحي سلامة
شفيقة .. وسرها الباتع	فؤاد قنديل
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوي
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربيني
مشوار	ليلى الشربيني
الرجل	ليلى الشربيني
رجال عرفتهم	ليلى الشربيني
الحلم	ليلى الشربيني
النغم	ليلى الشربيني
الفتيت المبعثر	محسن الرملي
الميناء الشرقية	محمد جبريل
مد الموج	محمد جبريل
الخرابة ٢٠٠٠	محمد الشرقاوي
كوميديا الانسجام	محمد بركة
طوفان النار	محمد حافظ صالح
الدكان	محمد سليمان
تل المعافرة	محمد شاكر
أشياء لا تموت	محمد صفوت
وداع لم يتم	محمد صفوت
الحاج	محمد عبد السلام العمري
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمري
حبال من رمل	محمد علي سعد
لوحة ممنوع	محمد علي سعد
حريم .. (أعزكم الله)	محمد الغربي عمران
شماشر في قفص الاتهام	محمد فتحي
الرقص في أكفان الموتى	محمد فتحي
الخروج إلي النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتي الساخنة	محمد محي الدين
يا عم يا جمّال	محمد الناصر
الحياة الذروة	د. محمد نعيم شريف
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
أخي البغل	مكرم فهمي
اختزال في المسافة والسفر	محمود الورواري
الضياع وجبل الأوهام	ممدوح القديري
الهبوط إلى الجنون	ممدوح القديري
الهروب مع الوطن	ممدوح القديري
فوق لهيب الشموع	ممدوح القديري
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
دم الأبنوس	ناجي الشكري
ويصدأ ماء النهر	ناصر الهلابي
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
الدائرة	د. مجدي إبراهيم
حكايات مصرية	د. مجدي إبراهيم
أنا السلطان	د. مجدي إبراهيم
قمر أخضر	نهلة السوسو
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
أيام زمان .. أين أنت ؟	د. هشام قاسم
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
وانهار الدب الأحمر	ياسر عبد التواب
فرد حمام	يوسف فاخوري

أدب مترجم

أنا كنده — أوراثيو كيروجا — ترجمة : رزق أحمد

تحولات الجحش الذهبي — أبوليوس — ترجمة د.علي فهمي خشيم

الحواس — أتالو كالفينو — ترجمة محمد عيد إبراهيم

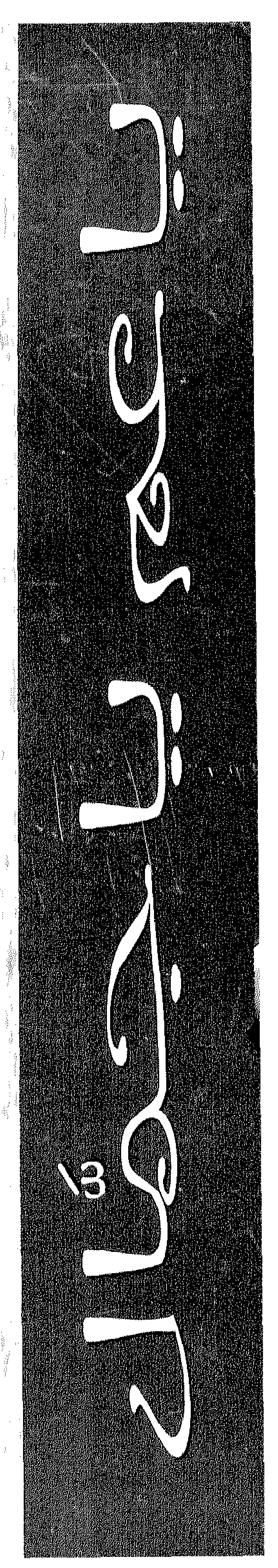
الهايكو - رحلة حج بوزية — ترجمة محمد عيد إبراهيم

زهرة الصيف — كينزا بوروادي وآخرون — ترجمة نجاح سفر

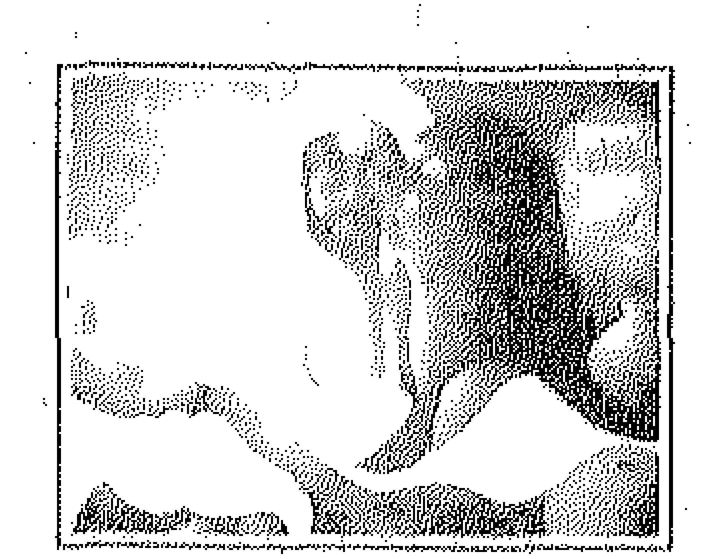
بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية ؛ شعر .. دراسات .. ونقد وكتب متنوعة : سياسية ، قومية ، دينية ، معارف عامة ، تراث ، وأطفال . خدمات إعلامية وثقافية

محمد الناصر

- تخرّج من كلية الآداب ، قسم الصحافة ، جامعة أسيوط ، وحصل على دبلوم الدراسات العليا من كلية الإعلام ، جامعة القاهرة قسم تليفزيون ، دبلوم العلوم السياسية من معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية .
- يعمل مذيعًا بإذاعة صوت العرب ، ومشرفًا على الصفحة الثقافية بجريدة «الجورنال» .
- صدرت له مجموعة قصصية بعنوان «المملوك» ، حائزة على جائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة فى مصر ، وتُرجمت بعض قصصها للإنجليزية والفرنسية .
- له مسرحية تحت الطبع .
- عضو جمعية لسان العرب ، وعضو مؤسس بجبهة حماة اللغة العربية . وعضو بنادى القصة واتحاد الكُتَّاب .

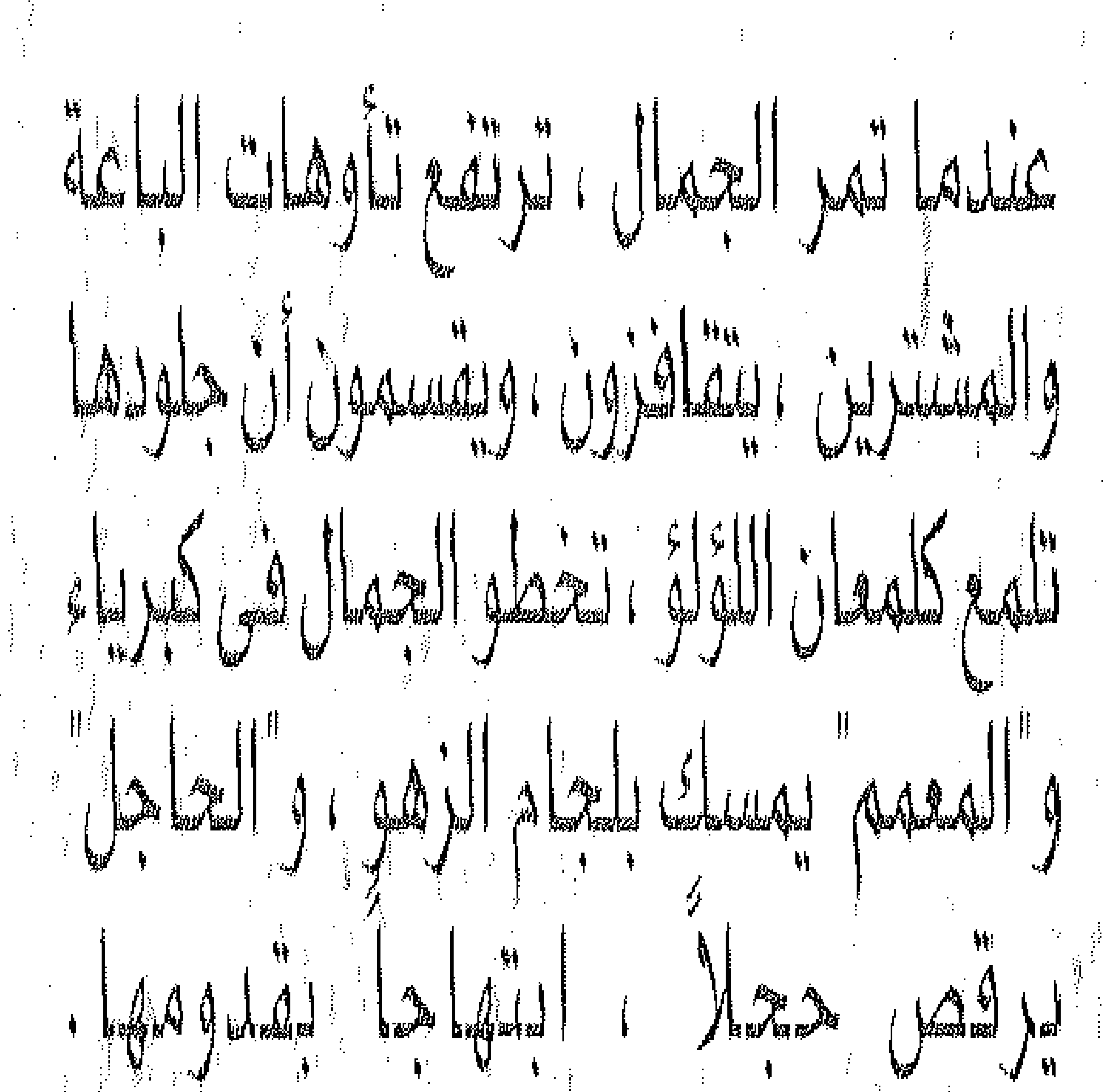


ياعم ياجمال









عندما تمر الجمال ، ترتفع تأوهات الباعة والمشترين ، يتقافزون ، ويقسمون أن جلودها تلمع كلمعان اللؤلؤ ، تخطو الجمال فى كبرياء و"المعمم" يمسك بلجام الزهو ، و"الحاجل" يرقص حجلاً ، ابتهاجاً بقدومها .

